بعد مماتكم ولم يعجز عن انشاه الاولى ولا عن خلق السموات والارض ثم ارشد عباده
الى دليل واضح جلى متضمن للجواب عن شبه المنكرين بالطف الوجوه وانبهها وانبرها
الى العقل فقال الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون
فانه هذا دليل مستقل على تمام قدرته واخراج الاموات من قبورهم كما اخرج
النار من الشجر الخضراء وفى ذلك جواب عن شبهه من قال من منكرى المعاد الموت
بارد يابس والحياه طبعها الرطوبه والحراره فاذا حل الموت بالجسم لم يمكن ان
يحل به الحياه بعد ذلك لتضاد ما بينهما وهذه شبهه تليق بعقول المكذبين الذين
لا سمع لهم ولا عقل فان الحياه لا تجامع الموت فى المحل الواحد ليلزم ما قالوا بل اذا
اوجد الله فيه الحياه وطبعها ارتفع الموت وطبعه وهذا الشجر الاخضر طبعه
البرودة والرطوبه يخرج منه النار الحاره اليابسه ثم ذكر ما هو اوضح للعقول
من كل دليل وهو خلق السموات والارض مع عظمهما وسعتهما وانه لا نسبه
للخلق الضعيف اليهما ومن لم يعجز قدرته وعلمه عن هذا الخلق العظيم الذى هو اكبر
من خلق الناس كيف يعجز عن احيائهم بعد موتهم ثم قرر هذا المعنى بذكر وصفين
من اوصافه مستلزمين لما اخبر به تعالى فقال بلى وهو الخلاق العليم فكونه
خلاقا عليما يقتضى انه يخلق ما شاء ولا يعجزه ما اراد من الخلق ثم قرر هذا المعنى
بان عموم ارادته وتعلقها لا ينصرف عنه ولا عن شئ ابدا فقال انما امره اذا اراد شيا
ان يقول له كن فيكون فلا يمكنه الاستعصاء عليه ولا يتعذر عليه بل يأتى طايعا منقادا
لمشيته وارادته ثم زاد تاكيدا وايضاحا بقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ
فتنزه نفسه عما يظن به اعداؤه المنكرون للمعاد معظما لها بان ملك كل شئ بيده يتصرف
فيه تصرف المالك الحق فى مملوكه الذى لا يمانعه الا مساع عن اى تصرف شاء
فيه ثم ختم السوره بقوله واليه ترجعون كما انتم ابتدا وامنه فلذلك مرجعهم
اليه فمنه المبتدا واليه المعاد فهو الاول والاخر وان الى ربك المنتهى ومنه قوله
تعالى ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا اولا يذكر الانسان انا خلقناه

من قبل ولم يك شيا فتامل هذه الدلالات على اختصارها واحكامها وبلاغتها وتضمنها
للاصل والفرع والعله والحكم ومنه قوله تعالى وقالوا ابذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون
خلقا جديدا فرد عليهم سبحانه ردا يتضمن الدليل القاطع على قدرته على اعادتهم خلقا
جديدا فقال كونوا حجاره او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم فستقولون من
يعيدنا قل الذى فطركم اول مره فلما استبعدوا ان يعيدهم الله خلقا جديدا بعد ان
صاروا عظاما ورفاتا قيل لهم كونوا حجاره او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم
سوا دان الموت والسما والارض او اى خلق استعظموه وكبر فى صدورهم ويتضمن
الدليل انكم مربوبون مخلوقون مقهورون على ما شا خالقكم وانتم لا تقدرون على
تغيير احوالكم من خلقه الى خلقه لا تقبل الاصم لا الحجاره والحديد ومع ذلك
فلو كنتم على هذه الخلقه من القوه والشده لنفذت احكامى فيكم وقدرتى ومشيتى ولم
تستعصوا ولم تفوتونى كما يقول القايل لمن هو فى قبضته اصعد الى السما فانى
لا حقك اى لو صعدت الى السما لحقتك وعلى هذا فمعنى الايه لو كنتم حجاره
او حديدا او خلقا اعظم من ذلك لما اعجزتمونى ولما فتمونى وقيل المعنى كونوا
حجاره او حديدا عند انفسكم اى صوروا انفسكم وقدروها كذلك خلقا لا
يضمحل ولا يحل فانا سنميتكم ثم نحييكم ونعيدكم خلقا جديدا وبين المعنيين
فرق لطيف فان المعنى الاول يقتضى انكم لو قدرتم على نقل خلقتكم من حاله
الى حاله هى اشد منها واقوى لنفذت مشيتنا وقدرتنا فيكم ولم تعجزونا فكيف
وانتم عاجزون عن ذلك والمعنى الثانى يقتضى انكم صوروا انفسكم وانزلوها
هذه المنزله ثم انظروا هل تفوتونا وتعجزونا ام قدرتنا ومشيتنا محيطه بكم
ولو كنتم كذلك وهذا من ابلغ البراهين القاطعه التى لا تعرض فيها شبهه بل
لا يجد العقول السليمه غير الاذعان والانقياد لها فلما علم الله وجه صحه هذا
البرهان وانه ضرورى يستقل الى المطالبه بمن يعيدهم فقالوا من يعيدنا
وهذا سوا دان سوالا منهم عن تعيين المعيد او انكارا منهم له فهو من اقبح التعنت